مقدمة

دفعني للبحث والكتابة في هذا الموضوع الشائك الجدال المُثار حول حقيقة موت المخ، وهل يسوغ رفع أجهزة التنفس الصناعي المركبة على أشخاص ميتين دماغيًّا أم لا؟ ووجدت أن ارتفاع نبرة الخلاف بين المؤيدين والمعارضين قد حدث في معظمه بسبب ثلاثة عوامل رئيسية:

أولها: الخلط بين الغيبوبة وموت المخ:

فكون الإنسان في غيبوبة بسبب توقف بعض أجزاء المخ عن العمل، وقد يفيق منها الإنسان لا يعني أنه ميت دماغيًّا، فالغيبوبة هي علامة واحدة فقط من علامات موت المخ الكلي والتي وضع الطب الحديث قواعد تشخيصه، وفي هذه الحالة لا يستطيع الإنسان أن يفيق من هذه الغيبوبة.

ثانيها: التخوف من فتح الباب للتجارة في الأعضاء لمصلحة القادرين ماليًّا:

وهذا مردود عليه بوضع القوانين والتشريعات الكافية والحزم والجدية في تنفيذها، وبالعكس من هذا التخوف فإن توفير مصدر لنقل الأعضاء من إنسان ميت قد يساهم في تقليل تجارة الأعضاء من الأحياء.

ثالثها: غياب الفهم الحقيقي لحقيقة الموت والحياة:

والذي يعود بدرجة كبيرة إلى عدم إدراك الفرق بين سر حياة جسد الإنسان وآثار وجود الروح فيه، فالله سبحانه وتعالى خلق جسد آدم من عنصر مادي هو الطين، ثم سواه؛ أي جعل له الإمكانات الجسدية التي تؤهله لنفخ الروح فيه ليتحمل الأمانة، وأهم هذه المؤهلات هو المخ المتطور الذي يستطيع أن يظهر أهم أثر من آثار نفخ الروح في الإنسان وهو العقل المفكر الذي يختار بين البدائل، ويعمر الأرض، ويتعرف على الله سبحانه

وتعالى. فمنذ خلق الإنسان الأول هناك مرحلتان هما مرحلة خلق الجسد وتسويته، ثم مرحلة نفخ الروح، ولكي يستمر وجود الإنسان في الكون حتى يحقق مراد الله سبحانه وتعالى من خلقه جعل الله عز وجل في صلب جسد آدم النطفة الحية (الحيوان المنوي) التي تجتمع مع نطفة المرأة الحية (البويضة) لتكوين النطفة الأمشاج (البويضة الملقَّحة)، والتي تستمر في الحياة داخل رحم الأم حتى إذا تمت تسويتها داخل الرحم بعث الله ملَكًا لينفخ الروح في هذا الجنين الحي بسر النطفة الحية.

وإذا فهمنا أن الموت هو نقيض الحياة فلا يسعنا إلا أن ندرك أن الموت يتكون من جزأين هما مغادرة الروح للجسد، وتوقف الجسد (الموروث حيًّا من الأبوين) عن الحياة، ثم لا يسعنا إلا أن نتساءل هل هما يحدثان معًا أم يسبق أحدهما الآخر عند الموت؟ وبالتالي إذا استطعنا أن نبحث في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة عن الإجابة على هذا السؤال الشائك، فربما استطعنا إدراك استمرار وجود الروح في جسد الميت دماغيًّا أو مغادرتها له، مما يساهم بدرجة كبيرة في فهم حقيقة عمل القلب وبعض أنسجة الجسم الأخرى بالاعتماد على العقاقير وأجهزة التنفس الصناعي بعد موت المخ، كما يسهل اتخاذ قرار برفع أو عدم رفع هذه الأجهزة.

وبذلك قد نستطيع أن نساهم في تقليل قلق الأهل وتوترهم النفسي، وأن نقدر الجدوى من التكاليف الباهظة لأجهزة التنفس الصناعي، كما قد نساهم في حل بعض قضايا الميراث والقضايا الجنائية المتعلقة بالميت دماغيًّا، وأخيرًا البحث في إمكانية نقل عضو من الإنسان الميت دماغيًّا لآخر يحتاجه.

وتسهيلا على القارئ في مطالعة الكتاب. فهذا الكتاب يتكون من ثلاث أقسام:

القسم الأول: يتكون من ثلاثة فصول كتمهيد لموضوع الكتاب. وهي تعطي نبذات موجزة عن الروح، والعلاقة بين القلب والتنفس والمخ، بالإضافة إلى مفهوم الموت في الحضارات الإنسانية.

القسم الثاني: يتكون من سبعة فصول، هدفها البحث في سبق مغادرة الروح لجسد الميت دماغيًا، وإمكانية رفع أجهزة التنفس الصناعي المُركبة عليه.

القسم الثالث: يتضمن التعليق على ثلاثة عشر سؤالا تمثل النقاط الطبية التي ما زالت محل خلاف بين البعض في تشخيص موت المخ.

وفي نهاية هذه المقدمة لا أستطيع أن أغفل حق المراجع القيمة التي استفدت منها كثيرًا لاستكمال هذه الدراسة، وقد ذكرتها في مواضع الإفادة منها داخل البحث، كما أجملتها بعد نهاية الدراسة بترتيب ورودها، كما أقدم تحية واجبة للزملاء الذين ساعدوني أثناء إجراء هذا البحث وكتابته، خاصة لدكتور "سعيد سماحه عوض" مدرس الحديث بكلية أصول الدين بني سويف- جامعة الأزهر، الذي ساهم بمجهود وافر في تخريج الأحاديث الشريفة المذكورة في الكتاب.